المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذ: حمزة بوزيدي

نشأة الأدب الصوفي

1-نشأة التصوف:

عرف العصر العباسي الثاني موجة متداخلة من حركات الشعوبية التي يشعل فتيلها الأعاجم، وحركة الزندقة، ومظاهر اللهو والمجون بين أفراد الطبقات الخاصة، لقد كان عصرا غلبت عليه العنصرية، والإلحاد والانحلال الأخلاقي. لكن هذا لا يعني التعميم المطلق، فقد كانت غالبية المجتمع ذات توجه إسلامي، ومنهم الزهاد الذين اتخذوا المساجد أماكن للعبادة بدل الحانات ودور النخاسة، كما سلكوا طريق الوعظ والتحذير من الركون إلى ملذات الدنيا ومحرماتها، في إطار ما يعرف بتيار الزهد الذي نشأ مع سطوع نجم الدعوة الإسلامية. في ظل هذه السمات المتداخلة والمتضادة، بدأت مقدمات التصوف تظهر منذ أواخر القرن الثاني الهجري، وأخذت سماتها تتضح شيئا فشيئا، مع "إبراهيم بن أدهم" و"شفيق البلخي" و"معروف الكرخي" الذي أشاع مبدأ المعرفة الإلهية[1].

[1] انظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 105-106.

مع بزوغ أوائل القرن الثالث الهجري، شرع بعض المتصوفة في التأسيس للتصوف والحديث في مصطلحاته، وأولهم "الحارث بن أسد المحاسبي" المتوفي سنة 234، ومعاصره "ذو النون المصري" المتوفي سنة 245، و"السَّري السَّقَطي" المتوفي سنة 251، "أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي" المتوفي سنة 261. ثم بدأت معالم التصوف ومبادئه في الوضوح منذ أوائل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، مع المتصوفة أمثال "أبي حمزة الصوفي" المتوفي سنة 269، "أبي سعيد الخزار" المتوفي سنة 277، "حمدون القصَّار النيسابوري" المتوفي سنة 271، "الجنيد" المتوفي سنة 297، وغيرهم[2].

لقد خاض هؤلاء المتصوفة في قضايا وأفكار التصوف وفق ما تمليه عليهم مجاهداتهم ومعارفهم، ومن ذلك: "المعرفة الإلهية"، "التوكل"، "الأحوال"، "المقامات"، "الفناء"، "السكر"، "العشق"، "القرب"، "الأنس"، وغيرها من الأفكار.

2-نشأة الأدب الصوفي:

يمكن التأريخ لبدايات الأدب الصوفي بالقرن الثاني للهجرة، ولكن، يجب التنبيه هنا، إلى نقطة مهمة وهي أن الأدب/الشعر الصوفي قبل القرن الثالث الهجري، كان فيه الشعراء مجرد منشدين ناقلين مستعينين بأشعار غيرهم في أحوال مختلفة، ولكن منذ أواخر القرن الثالث الهجري، أصبح المتصوفة ينتجون أشعارهم الخاصة بهم، وبذلك يمكن القول أنها الفترة الحقيقية لظهور الأدب الصوفي.

وقد ذهب الناقد عبد المنعم خفاجي إلى تقسيم عصور الشعر الصوفي إلى خمسة مراحل، يمكن إيجازها على النحو التالي:[3]

---

[2] انظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 108-113.

[3] عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، (د.ط)، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 167-175.

المرحلة الأولى: من عام (100 هـ حتى عام 200 هـ) تشمل القرن الثاني الهجري بأكمله، والخلافة العباسية في بغداد، وفيها كان الشعر الصوفي يُكون نفسه بنفسه، وينهض بتقاليده الفنية والفكرية، من شعراء هذه المرحلة: رابعة العدوية (185)هـ.

المرحلة الثانية: وتشمل القرن الثالث والرابع للهجرة، كان الشعر الصوفي في هذه المرحلة في دور نهضة وازدهار، ومن شعراء هذه المرحلة: أبو تراب عسكر بن الحسين النخشبي (245)هـ.

المرحلة الثالثة: تشمل القرنين الخامس والسادس (400–600هـ)، وفيها يتجه الأدب الصوفي إلى الحب الإلهي ومدح الرسول والشوق إلى الأماكن المقدسة، ويدعو إلى الفضائل الإسلامية، وفي هذه المرحلة نشأ الأدب الصوفي الفارسي، ومن شعراء هذه المرحلة: السهر وردى (586هـ)، والرفاعي (587هـ).

المرحلة الرابعة: تشمل القرن السابع الهجري، وفيها بلغ الشعر الصوفي قمة نهضته. وظهر من أعلامه: ابن الفارض (632هـ)، جلال الدين الرومي، محي الدين بن عربي (638هـ)، البوصيري (695هـ)، ابن عطاء السكندري (707هـ).

المرحلة الخامسة: من القرن الثامن الهجري حتى اليوم، وقد عرف الأدب الصوفي عدد كبير من الشعراء يتعذر إحصاؤهم وذكرهم.